اختلاف الدلالة باختلاف التغيُّر التصريفي بين قراءتي نافع وعاصم سورتا الفاتحة والبقرة أنموذجا

د. ساسي امحمد مانيطة
قسم اللغة العربية – كلية الآداب– الزاوية
جامعة الزاوية

بين يدي البحث:

تختلف بنية الكلمة العربية من صيغة إلى أخرى وتبعا لذلك تختلف دلالتها فإذا قلت مثلا: جلس الرجل فإن هذا التعبير يفيد جلوس الرجل وحده وليس بالضرورة أن يكون بصحبته أحد، فإذا غيرت الصيغة وقلت: جالس الرجل أبناءه فإن المعنى قد تغير وصار مدلول الجملة أن الرجل كان جالسا بصحبة أبنائه، وإذا قلت: أجلست الرجل على الكرسي تغير مدلول العبارة وصار يعني أن الرجل لم يجلس وحده وإنما أنت قمت بإجلاسه، وإذا قلت: المؤمن ينصر أخاه المؤمن فإن المعنى واضح حيث يقوم المؤمن بنصرة أخيه، وإذا غيرت صيغة الفعل فقلت:

استنصر المؤمن بأخيه صارت له دلالة أخرى وهي طلب النصرة، وإذا قلت: تناصر المؤمنون صار المعنى: المؤمنون ينصر بعضهم بعضا، وإذا قلت مثلا: قابلت رجلا ذا خلق طيب، فقد أخبرت أنك قابلت رجلا واحدا، فإذا غيرت المفرد وقلت: قابلت رجالا ذوي أخلاق.إلخ.. فإنك تكون قد أخبرت عن مقابلة رجال متعددين وليس رجلا واحدا، وهكذا فإن بنية الكلمة يتغير مدلولها بتغير صيغتها ويكون للسياق أيضا أثر في تغير الدلالة.

ولا شك أن القراءات القرآنية مجال خصب لمثل هذا التباين الدلالي الناتج عن التباين التصريفي للصيغ، لذلك فإن هذا البحث يسلط الضوء على اختلاف الدلالة الناتج عن الاختلاف التصريفي لبنية الكلمة، ونظرا إلى أن القراءتين الأشهر في بلادنا هما قراءة الإمام نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني المتوفى سنة 196 هـ برواية الإمام قالون عيسى بن مينا بن وردان المتوفى سنة 220هـ. وقراءة الإمام عاصم بن أبي النجود المتوفى سنة127هـ برواية الإمام حفص بن سليمان الأسدي المتوفى 180هـ [1].

خصص هذا البحث لتناول أوجه الاختلاف التصريفي بينهما والأثر الدلالي لذلك الاختلاف، ولما كان الاختلاف التصريفي بين القراءتين أكبر من أن يتناوله بحث صغير كهذا فإنني جعلت الاختلاف التصريفي بين القراءتين في سورتي الفاتحة والبقرة فقط أنموذجا لإثبات ذلك الاختلاف، مؤملا أن تتاح لي فرص أخرى بعون من الله لتناول جميع سور القران الكريم وما التوفيق إلا من عند الله.

أولا: اختلاف القراءات في سورة الفاتحة:

في سورة الفاتحة قراءات متعددة يرجع بعضها إلى الإعراب وبعضها إلى اللغة ومما يرجع إلى التصريف قراءة " ملك يوم الدين – مالك يوم الدين " [الفاتحة 4]

قرأ عاصم والكسائي (مالك) بالألف بعد الميم صيغة اسم فاعل من الفعل الثلاثي المجرد ملك، وقرأ نافع وباقي السبعة (ملك) بفتح الميم وكسر اللام صفة مشبهة على وزن فَعِـل، وفـي اللفظة قراءات أخرى لا يتسع المجال لذكرها [2]، ولأن البحث مختص بالفرق بين قـراءة نـافع وعاصم. والمعنى العام للفظ (ملك) هو الشد والضبط، والمالك للشيء شاد عليه وضابط له، وأما المعنى الخاص فأصل المُلك هو قوّة في الشيء وصحة. يقال: أملَكَ عجِينَه: قوَّى عَجنَه وشَـدَّه. ولذلك يفهم من الكلمة أمران: التمكن من الشيء بحيث لا يشاركه فيـه أحـد، والقـدرة علـى التصرف فيه كما يشاء.وبعض المفسرين تكلموا على الفرق بين (مالك) و (ملك) من ناحية أيهما أبلغ من الأخرى، وهذا الكلام صحيح من حيث استعمال الكلمة دون الأخرى، بمعنى أن الكلمـة قد تكون أبلغ من غيرها لتحقق القصد مما أريد منها، أما أن يقال إن (مالك) أبلغ من (ملـك) أو (ملك) أبلغ من (مالك) فهذا على إطلاقه لا يصح، لأن الكلمتين وردتا فـي القـرآن الكـريم ولا يصح القول بأن واحدة أبلغ من الأخرى لأن هذا يعني نقصاً في استخدام الأخرى وهـذا محـال على كتاب الله تعالى.وقد ذكر الماوردي في (النكت والعيون) الفـرق بـين القـراءتين فقـال: "والفرق بين المالك والملك من وجهين: أحدهما: أن المالك مَنْ كان خاصَّ المُلكِ، والملِـك مَـنْ كان عَامَّ المُلْك. والثاني: أن المالك من اختص بملك الملوك، والملك من اختص بنفـوذ الأمـر. واختلفوا أيهما أبلغ في المدح، على ثلاثة أقاويل: أحدها: أن المَلِك أبلغ في المدح من المالك، لأنَّ كلَّ مَلِكٍ مالِكٌ، وليسَ كلُّ مالِكٍ مِلِكاً، ولأن أمر الملِكِ نافذ على المالِكِ. والثاني: أن مالك أبلغ في المدح من مَلِك، لأنه قد يكون ملكاً على من لا يملك، كما يقال ملك العرب، وملـك الـروم، وإن كان لا يملكهم، ولا يكون مالكاً إلا على من يملك، ولأن المَلِك يكون علـى النـاس وغيـرهم. والثالث: وهو قول أبي حاتم أن مَالِك أبلغ في مدح الخالق من مَلِك، ومَلِك أبلغ من مدح المخلوق من مالك. والفرق بينهما، أن المالك من المخلوقين قد يكون غير ملك، وإن كان الله تعالى مالكـاً

كان ملكاً، فإن وُصف الله تعالى بأنه ملك، كان ذلك من صفات ذاته، وإن وصف بأنه مالك، كان من صفات أفعاله" [3].

فالقول إن كل ملك مالك وليس كل مالك ملك وإن كان صحيحاً كما ذكره المفسرون وأهل اللغة، ولكن هذا لا ينقص من قدر كلمة (مالك) تجاه (ملك) أو العكس لأن استخدام كل كلمة في مكانها الصحيح لا تسده كلمة غيرها، وهذه من خصائص كتاب الله تعالى، ألا ترى قولك زيد مالك البيت يختلف عن قولك عمرو ملِك البيت، فالأولى تعني أن ملكية البيت تعود لزيد فلا يملكه غيره، أما الثانية فتعنى أنه ملك البيت هو عمرو فهو المتصرف فيه. يقول الشوكاني: "فَالْمَالِكُ أَقْوَى مِنَ الْمَلِكِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ، وَالْمَلِكُ أَقْوَى مِنَ الْمَالِكِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ. وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْوَصْفَيْنِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْمَلِكَ صِفَةٌ لَذَّاتِهِ، والمالك صفة لفعله" [4].

وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير:"وَقولهُ (مَلِكِ) قرأهُ الْجمهور من دون أَلفٍ بعد الْميمِ وقرأه عاصم والْكِسَائِيُّ ويعْقُوب وَخَلَفٌ (مَالِكِ) بِالْأَلِف فالْأَوَّل صفة مشبَّهةٌ صارت اسما لصاحبِ الْمُلْكِ (بِضَمِّ الْمِيمِ) وَالثَّاني اسم فَاعل من مَلَكَ إِذَا اتَّصف بالْمِلْكِ (بِكَسْرِ الْمِيمِ) وكلاهما مشتقٌ من مَلَكَ، فَأَصل مادَّة مَلَكَ في اللُّغة ترجع تصاريفُها إِلَى معنى الشَّدِّ والضَّبط كما قاله ابن عطيَّة، [5] ثُمَّ يتصرَّف ذلك بالْحقيقة وَالمجاز، وَالتَّحقيق وَالاعتبَار، وقراءة (مَلِكِ)من دون أَلف تدل علَى تمثيل الهيئة في نفوسِ السَّامعينَ لأَنَّ الْمَلِكَ- بِفتحِ الْميمِ وكسر اللَّام- هو ذو الْمُلْكِ- بضمِّ الْمِيمِ- والْمُلْكُ أَخَص من الْمِلْكِ، إِذِ الْمُلْكُ- بِضَمِّ الْمِيمِ- هو التَّصرُّف في الْموجودات وَالِاستيلاء ويختص بتدبير أُمور العقلاء وسياسة جمهورهم وأَفرادهم ومواطنهم فلذلك يقال: مَلِكِ النَّاسِ ولا يقال: مَلِكِ الدَّوابِّ أو الدَّراهم، وأمَّا الْمِلْكُ- بِكَسْرِ الْمِيمِ- فهو الِاختصاص بالأَشياء ومنافعها دونَ غيره " [6]

ومما تقدم تبيَّن أن لكل قراءة دلالة خاصة أوجدتها الصيغة فدلالة صيغة اسم الفاعل غير دلالة الصفة المشبهة وعلماء التصريف يقال إن اسم الفاعل دال على التجدد والحدوث، وأن الصفة المشبهة تدل على الدوام والثبوت. والله أعلم

قال العلماء: إن معنى "ملك" أعم من صيغة "مالك" وأكثر شمولا إذ كل ملك مالك وليس كل مالك ملك، والملك هو الذي يدبر المالك في ملكه بحيث لا يتصرف إلا عن تدبير الملك.

ثانياً: اختلاف القراءات في سورة البقرة

***القراءة... الفرق بين فعل وفاعل**

قال الله – تعالى –: " **يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم** " [البقرة9] اختلف القراء في " يخدعون" الثانية، فقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي "وما يخدعون"، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو " وما يخادعون "[7].

وقبل الكلام على الفرق بين القراءتين أذكر معنى الخدع:

جاء في الصحاح: خدعه يخدعه خدعا وخداعا أيضا بالكسر مثل سحره سحرا: ختله، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم، والاسم الخديعة.[8]

ومن معاني الخدع: المراوغة، وإظهار الشخص خلاف ما يخفيه، قال ابن منظور في اللسان:" الخدع إظهار خلاف ما يخفيه ".[9]

وجاء في البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: الخداع، قيل إظهار غير ما في النفس، وأصله الإخفاء، ومنه سمي البيت المفرد في المنزل مخدعا لتستر أهل صاحب المنزل فيه، ومنه الأخدعان وهما العرقان المستبطنان في العنق، وسمي الدهر خادعا لما يخفي من غوائله[10] وسياق الآية يدل على أن الخدع في الآية الكريمة هو النفاق والمراوغة وإظهار غير الحقيقة،

حيث إن الموضع الإعرابي لجملة " يخادعون الله " كونها بدل اشتمال من قوله – تعالى – " يقول آمنا بالله" [البقرة 8]

فهذا القول منهم يدل على المخادعة والمراوغة، ومعنى قوله – تعالى – " يخادعون الله والذين آمنوا " أن المنافقين كانوا يقصدون من إظهارهم الإيمان التمويه على الله – تعالى – مع أن ذلك لا يصدر عن عاقل يعلم أن الله مطلع على الضمائر.

وصيغة المفاعلة في " يخادعون " الأولى تقتضي أن الله – تعالى – يعاملهم بخداع، والمؤمنين كذلك، والخداع فعل مذموم لا يليق بالمؤمنين فكيف إذا أسند إلى الله – تعالى – ؟ ولهذا أولها العلماء على وجوه:

الأول: أن يكون معنى " يخادعون الله " لما كان خداعهم للمؤمنين من أجل الدين كان خداعهم راجعا لشارع هذا الدين، وهو الله – تعالى ــ، ويكون معنى خداع الله والمؤمنين إياهم إغضاء المؤمنين عنهم وما يقترفون من أخطاء، وكيف إنهم يعاملونهم معاملة المؤمنين تحت نظر الرسول – صلى الله عليه وسلم–، فكأن تلك المعاملة هي بإذن من الله –تعالى–.[11]

الوجه الثاني: ما أورده صاحب الكشاف أن " يخادعون " استعارة تمثيلية تشبيها للهيئة الحاصلة من معاملتهم للمؤمنين ولدين الله، ومن معاملة الله إياهم في الإملاء لهم، والإبقاء عليهم، ومعاملة المؤمنين إياهم في إجراء أحكام المسلمين عليهم، بهيئة فعل المخادعين.[12]

الوجه الثالث: أن يجعل الفعل (خادع) المزيد بمعنى (خدع) المجرد كما سأبين لاحقا في معاني الزيادة، نقل ابن عطية عن الخليل بن أحمد قوله " يقال خادع من واحد لأن في المخادعة مهلة، كما يقال عالجت المريض لمكان المهلة، قال ابن عطية: كأنه يرد (فاعل) إلى اثنين، ولا بد من حيث أن فيه مهلة، ومدافعة، ومماطلة، فكأنه يقاول في المعنى الذي يجيء فيه فاعل ".[13]

وعلى تلك الأوجه الثلاثة تحمل قراءة نافع ومن معه " وما يخادعون إلا أنفسهم"

الفرق اللغوي بين القراءتين:

قراءة عاصم ومن معه " يخدعون" فعل مضارع من الفعل الثلاثي المجرد (خدع) على وزن (فَعَلَ) وقراءة نافع ومن معه " يخادعون" فعل مضارع من الفعل الثلاثي المزيد بالألف (خادع) على وزن فاعل، وهذه الألف الزائدة تجعل الصيغة تفيد معاني متعددة منها:

- الدلالة على المتابعة، وعدم الانقطاع كقولك: تابعت صيامي إذا لم تقطعه واليت الدرس إذا لم تقطعه.
- الدلالة على أن شيئا صار صاحب صفة يدل عليها الفعل كقولك كافأت الفائز أي جعلت الفائز صاحب مكافأة
- قد تأتي صيغة (فاعل) المزيدة بمعنى (فعل) المجرد كقولك سافر الأستاذ. وهاجر العالم.
- الدلالة على المشاركة وهي الأكثر شيوعا في معنى تلك الصيغة، ومعنى المشاركة حدوث الفعل من الفاعل والمفعول معا فإذا قلت مثلا: جلس خالد يكون الجلوس حدث من خالد فقط، أما إذا قلت: جالس خالد سعيدا فإن الجلوس حدث من كليهما. (14)

وعلى ضوء ما تقدم يأتي الفرق الدلالي بين القراءتين بحيث تكون قراءة عاصم ومن معه " وما يخدعون " دالة على أن المنافقين الذين عنتهم الآية الكريمة بما يظهرون من إيمان، ويخفون من كفر، يكون فعلهم ذاك خدعا لأنفسهم، يمضي عليها، يقال مثلا: خادعت الرجل إذا تحايلت عليه، فخدعته أي تمت عليه الحيلة، ونفذ فيه المراد، والمخادع نفسه هو ذلك الذي يظن أنه يخادع غيره استدراجا له واستكمالا للحجة الموجبة للعقوبة، فيتمادى في المعصية ويطول خداعه لصفح من يظن أنه يخدعهم، ويصل عفوهم عنه أقصى غاية، ففي تلك الحالة يكون خادعا نفسه ليس غير.

وقد صحح الطبري قراء عاصم ومن معه "يخدعون" بحجة أن المنافق بخداعه ربه وأهل الإيمان غير صائر بخداعه ذاك إلى خدعة صحيحة إلا لنفسه دون غيرها لما يورطها بفعله من

الهلاك قال:" فالواجب أن يكون الصحيح من القراءة وما يخدعون إلا أنفسهم دون وما يخادعون لأن لفظ المخادع غير موجب تثبيت خديعة على صحة، ولفظ (خدع) موجب تثبيت خديعة على صحة... قال: ومن الدلالة على أن قراءة من قرأ وما يخدعون أولى بالصحة من قراءة من قرأ وما يخادعون أن الله – جل ثناؤه – قد أخبر عنهم أنهم يخادعون الله والمؤمنين في أول الآية فمحال أن ينفي عنهم ما قد أثبت أنهم فعلوه، لأن ذلك تضاد في المعنى، وذلك غير جائز من الله – جل ثناؤه – " [15].

وأما قراءة نافع ومن معه " وما يخادعون.." فتحتمل معنيين:

الأول: دلالة خادع على المشاركة حيث إن المنافقين يخادعون أنفسهم فيمنونها الأباطيل، وأنفسهم تخدعهم فتمنيهم ذلك أيضا فكأنها محاورة بين اثنين قال صاحب الدر المصون " [16] ويكون هذا قريبا من قول الشاعر:

لَمْ تَدْرِ مَا (لا) فلسْتَ قَائِلَهَا ***عَمْرُكَ ما عِشتَ آخِرَ الأبَدِ

ولمْ تُؤَامِرْ بتلك مُمْتَرِيًا ***فيها وفي أخْتِها ولم تَكَدِ [17]

وقول الآخر:

يُؤَامِرُ نَفْسَيْهِ وفي العَيْشِ فُسْحَةٌ [18]

والشاهد في الأبيات قول العرب: لكل امرئ نفسان، تنهاه إحداهما وتأمره الأخرى، وإنما هما فكران يحدثان له من الخوف والرجاء، فيتأخر عند إحداهما ويتقدم عند الأخرى.

الاحتمال الثاني: أن يجعل الفعل المزيد (خادع) بمعنى المجرد (خدع)، وعلى هذا الاحتمال يفسر قوله – تعالى – ط وما يخادعون إلا أنفسهم "على قراءة نافع ومن معه بما فسرت به قراءة عاصم ومن معه " وما يخدعون "والله أعلم.

من العرض السابق تبين أن الدلالة تغيرت بتغير بنية الكلمة، وأن لكل قراءة معنى يستفاد وفقا لصيغة اللفظ، مما يؤكد أثر التغاير التصريفي في الدلالة، والقراءات القرآنية ميدان ثر لبيان ذلك.

**** القراءة: الفرق بين فَعَلَ الثلاثي المجرد وفَعَّل الثلاثي المزيد بالتضعيف.**

قال الله – تعالى – " في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون " [البقرة10]، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر " يُكذِّبون" بضم الياء وتشديد الذال مضارع من كذَّب الثلاثي المزيد بالتضعيف والوزن فعَّل، والمصدر التكذيب، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي " يَكْذِبون بفتح الياء وتخفيف الذال مضارع من كذب الثلاثي المجرد والوزن فَعَل والمصدر الكَذِب [19] ومعنى الكذب: الإخبار عن الشيء بغير ما هو عليه ذهنا وخارجا، وقيل بغير ما هو عليه في الخارج فقط سواء وافق اعتقاد المتكلم أم لا، وقيل الإخبار عنه بغير اعتقاد المتكلم، سواء وافق ما في الخارج أم لا.[20]، وإذا كان الصدق هو مطابقة الحكم للواقع، فإن الكذب ضده [21]

دلالة الزيادة بالتضعيف:

للزيادة بالتضعيف معان متعددة من أهمها:

- الدلالة على التكثير والمبالغة مثل قولنا طوَّف بالمكان إذا أكثر الطواف به، ومثله غلَّق، وذبَّح، وقتَّل.
- التعدية أي جعل الفعل متعديا بعد أن كان لازما مثل: فرَّحت الطالب: جعلته فرحا، وقبل التضعيف كان الفعل لازما فرح الطالب، ومثله خرَّجت الماء، فهَّمت الدرس، أكَّلت الحيوان، سمَّعت الحديث.
- الدلالة على النسبة مثل كذَبت فلانا: نسبته إلى الكذب.
- الدلالة على السلب والإزالة مثل قشَّرت الفاكهة: أزلت قشرتها ومثله قلَّمت أظافري: أزلتها.

- اختصار الحكاية مثل كبَّر وهلّل وسبَّح اختصارا لقوله: الله أكبر، لا إله إلا الله، سبحان الله . وهكذا.[22]

اختلاف الدلالة بين القراءتين:

على ضوء ما تقدم من معاني الزيادة بالتضعيف تختلف الدلالة بين القراءتين فأما قراءة نافع ومن معه " يُكذِّبون" بضم الياء وتشديد الذال، فقد صار الفعل بتلك الزيادة متعديا فدل على أن المنافقين استحقوا العذاب بسبب تكذيبهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيما جاء به، ولا شك أن ممارستهم التكذيب أوجب لهم صفة الكذب كما تبين ذلك في دلالة الزيادة بالتضعيف، تقول كذَّبت فلانا إذا نسبته إلى الكذب ورميته به، وصار الكذب صفة من صفاته، كما تقول شجَّعت فلانا إذا رأيته شجاعا، فقد نسبته إلى الشجاعة وصارت الشجاعة صفة من صفاته. ولهذا رجَّح بعضهم قراءة نافع ومن معه.[23]

وأما قراءة عاصم ومن معه " يَكْذبون " بفتح الياء وتخفيف الذال، فإن الفعل فيها لازم فيكون المعنى: أن المنافقين استحقوا العذاب الأليم بسبب كذبهم، وإظهارهم خلاف ما يبطنون، ولما نفي الله – تعالى – عنهم الإيمان في قوله – تعالى – " وماهم بمؤمنين "[البقرة8] مما يُفهِم ضمنا كذبهم وخداعهم، بيَّن سبحانه أنهم استحقوا العذاب الموجع بسبب كذبهم وزيفهم، ورجّح الطبريّ قراءة التخفيف لمناسبتها قوله –تعالى– " والله يشهد إن المنافقين لكاذبون " [المنافقون1] قال الطبري: " ولو كان الصحيح من القراءة على ما قرأه القارئون في سورة البقرة " ولهم عذاب أليم بما كانوا يُكذِّبون " لكانت القراءة في السورة الأخرى والله يشهد إن المنافقين لمُكَذِّبون ليكون الوعيد لهم الذي عقيب ذلك وعيدا على التكذيب لا على الكذب."[24]

ومما سبق وضح اختلاف الدلالة بين القراءتين الناتج عن التغاير التصريفي بين (كذَّب) الثلاثي المزيد بالتضعيف، وبين (كذب) الثلاثي المجرد، فالذين قرؤوا بضم الياء وتشديد الذال

فهموا أن المنافقين استحقوا العذاب بسبب تكذيبهم الله فيما أنزل، وتكذيبهم رسوله – صلى الله عليه وسلم – فيما أخبر، والتكذيب يعني المبالغة في الكذب، وأن من قرأ بفتح الياء وتخفيف الذال فهم أن المنافقين استحقوا العذاب بسبب كذبهم على الرسول – صلى الله عليه وسلم – وعلى المؤمنين بإظهارهم الإيمان وإخفائهم الكفر والله أعلم.

***** القراءة الفرق بين الماضي والأمر....**

قال الله – تعالى – " **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** " [البقرة 125].

قرأ نافع وابن عامر (واتَّخَذوا) بفتح الخاء على أنه فعل ماض أريد به الإخبار، كقولنا مثلا: إن آل فلان اتخذوا من بيتهم مدرسة لتعليم الأطفال القراءة والكتابة.

وقرأ عاصم وبعض السبعة (واتَّخِذوا) بكسر الخاء على أنه فعل أمر من اتخذ على وزن افتعل. (25)

والفعل اتخذ ثلاثي مزيد بالألف وتاء الافتعال، والمجرد منه **تخذ** على وزن فَعِلَ بفتح الفاء وكسر العين، ولما كان الفعل المجرد مبدوءا بالتاء، فإنه عند دخول تاء الافتعال تدغم في التاء التي هي فاء الكلمة، وقد يُتوهم أن الثلاثي المجرد هو أخذ المبدوء بالهمزة، ولكن هذه الصيغة عند دخول تاء الافتعال عليها تبقى الهمزة لأصالتها فنقول (ائتخذ) والوزن افتعل.

معنى اتخذ: نقول في الماضي اتخذ ومضارعه يتخذ والمصدر الاتخاذ واسم الفاعل متخذ بكسر الخاء واسم المفعول متخذ بفتح الخاء، وله معان متعددة بحسب السياق الذي يرد فيه نقول مثلا: اتخذت البيت منتدى للأصدقاء، والمعنى صيَّرته كذلك، ونقول: اتخذ فلان موقفا معارضا، والمعنى: اعتمده، ونقول: اتخذ فلان موقفا والمعنى ثبتت إرادته عليه، ونقول اتخذت الدولة

احتياطاتها والمعنى: تأهبت واحترزت لتفادي ما يقع. ونقول: اتخذ الولد أباه مثالا والمعنى: حذا حذوه وسار على نهجه ونقول: اتخذ الموظف أجرا على عمله، والمعنى أخذه، وهكذا فإن السياق هو الذي يحدد معنى الفعل (اتخذ)، ولا شك أن زيادة الألف والتاء على الثلاثي تكسبه معاني جديدة ومن معاني تلك الزيادة:

- الدلالة على المطاوعة من الأفعال العلاجية والتأثيرية وهي الأفعال التي تتطلب تحريك عضو من الأعضاء مثل: جمعته فاجتمع، وعدلته فاعتدل.
- الدلالة على المطاوعة من صيغة (أفعل) أسمعته فاستمع، وأنهيته فانتهى.
- الدلالة على الاتخاذ مثل: امتطى الفارس الجواد والمعنى: جعله مطيته.
- الدلالة على الاشتراك مثل تفاعل كقولك: اقتتل الفريقان والمعنى: تشاركا في القتال.
- الدلالة على المبالغة والزيادة في تحصيل الفعل مثل: اكتسب المال، واجتهد في التحصيل..
- الدلالة على الإظهار كقولنا: اعتذر المخطئ والمعنى: أظهر عذره.
- وقد تدل صيغة افتعل على ما يدل عليه المجرد مثل: اختطف العدو فردا من أفراد السرية والمعنى: خطف.[26]

الفرق الدلالي بين القراءتين:

من اليسير جدا فهم الفرق الدلالي بين القراءتين حيث إن قراءة نافع ومن معه (واتخذوا) بصيغة الفعل الماضي تعني الإخبار عن ذرية إبراهيم – عليه السلام – الذين جعلوا من مقامه مصلى، وعندئذ يعامل الفعل الماضي (اتخذوا) نحويا على أنه معطوف على الفعل الماضي (جعلنا) من قوله – تعالى – " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا " [البقرة 125]، والتقدير (وإذ اتخذوه مصلى).

وأما قراءة عاصم ومن معه: " واتخذوا " بصيغة الأمر، فقد قيل في توجيهها: إن الأمر موجه إلى ذرية سيدنا إبراهيم – عليه السلام –، وقيل إنه موجه إلى سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وأمته، ولهذا صار من المستحب الصلاة عند مقام إبراهيم –عليه السلام–.[27]

مما تقدم تبيَّن اختلاف الدلالة باختلاف التغير التصريفي بين القراءات، فالدلالة المستفادة من الفعل الماضي المحدد زمنه بانتهاء زمن التكلم غير الدلالة المستفادة من الأمر الذي يبدأ من زمن التكلم ويستمر. والله أعلم

****** القراءة...الفرق بين أفعل وفعَّل....**

قال الله – تعالى – " ووصَّى بها إبراهيمُ بنيه ويعقوبَ يابنيَّ إن اللهَ اصطفى لكم الدين فلا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون " [البقرة 132]

قرأ نافع وابن عامر " وأوصى" بالفعل الثلاثي المزيد بهمزة التعدية (أفعل)، وقرأ عاصم وباقي السبعة " ووصى" بالفعل الثلاثي المزيد بالتضعيف (فعَّل)[28]

ذكرت فيما سبق دلالة الزيادة بالتضعيف، وأما دلالة الزيدة بهمزة النقل فتتلخص في الآتي:

- التعدية أي جعل الفعل اللازم متعديا مثل الفعل كرُم تقول: كرُم الرجل، فإذا أدخلت الهمزة (أكرم) صار الفعل متعديا تقول: أكرمت الرجل.، وإذا كان الفعل المجرد متعديا إلى مفعول واحد صار بزيادة الهمزة متعديا إلى مفعولين مثل الفعل لبس المتعدي إلى مفعول واحد: لبس الرجل ثوبا، فإذا أدخلت عليه الهمزة صار متعديا إلى مفعولين فتقول: ألبست الرجل ثوبا، وإذا كان الفعل متعديا إلى مفعولين صار بعد دخول الهمزة عليه متعديا إلى ثلاثة تقول: عَلِمَ خالد محمدا كريما وبعد دخول الهمزة تقول: أعلمت خالدا محمدا كريما وهكذا..

- ومن دلالة الزيادة بالهمزة: الدخول في الزمان والمكان مثل: أصبح والمعنى دخل في الصباح، وأبحر: دخل في البحر.
- الدلالة على السلب والإزالة مثل: أعجمت الكتاب والمعنى: أزلت عجمته.
- الدلالة على الكثرة مثل أشجر المكان والمعنى: كثر شجره..وقد تنطبق هذه الدلالة على الآية الكريمة التي نحن بصدد الكلام عليها..[29]

معنى الوصية:

قال ابن فارس في مقاييسه: (وصى) الواو والصاد والحرف المعتل أصل يدل على وصل شيء بشيء، ووصيت الشيء: وصلته، والوصية من هذا القياس، كأنه كلا يوصي أي يوصل، يقال: وصيته توصية، وأوصيته أيضا، والوصية: طلب فعل يفعله الموصى إليه بعد غيبة الموصي، أو بعد موته فيما يرجع إلى مصالحه [30].

الفرق الدلالي بين القراءتين:

يتبادر إلى الذهن أن القراءتين بمعنى واحد فالزيادة بالهمزة تفيد التعدية وكذلك الزيادة بالتضعيف، يضاف إلى ذلك الاشتراك في جذر الكلمة المكون من (و. ص ى) لكن لكل قراءة دلالة تختلف بعض الاختلاف عن الأخرى، فمن قرأ "أوصى" بزيادة الهمزة فهم أن الوصية تكون في القليل والكثير، ولا تحتاج إلى صيغة معينة للدلالة على ذلك، وأما من قرأ "وصى" بزيادة التضعيف الدال على المبالغة والتكثير كما أسلفت فهم أن الوصية لا تكون إلا في الكثير[31]، ومعنى ذلك أن التعبير بـــ"أوصى" جائز أن يُفهم أن الوصية حدثت مرة واحدة، والتعبير بـــ"وصى" يدل على تكرار الوصية مرات متعددة.

ويرى بعض العلماء أن الصيغتين (أوصى ووصى)لغتان، فكما تقول كرَّمتك وأكرمتك، تقول: وصَّيتك وأوصيتك.

ولا شك أن الدقة التي يتسم بها أسلوب القرآن الكريم تدعو إلى ترجيح الاختلاف الدلالي بين القراءتين [32].

****** القراءة: الفرق بين الإفراد والجمع..**

قال الله تعالى: " وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعامِ مِسْكِين " [البقرة 184]

قرأ نافع وابن عامر "فدية ُطعامِ مساكين "بترك تنوين (فدية) وجمع لفظ (مساكين) وقرأ عاصم وباقي السبعة (فديةٌ) بالتنوين (مسكين) بالإفراد [33]، فالفرق التصريفي بين القراءتين هو الإفراد والجمع في لفظ (مسكين) – (مساكين) وواضح أن مساكين وزنه مفاعيل، وهذا الوزن اصطلح على أنه من صيغ منتهى الجموع، وهي نوع من جموع التكسير، ويُعرِّفها علماء التصريف بأنها كل جمع تكسير فيه ألف بعدها حرفان، أو ثلاثة أحرف وسطها ساكن مثل قولنا: مدارس ومنازل ومصابيح وميادين وصيغ منتهى الجموع كثيرة أهمها:

- فعالل وشبهه مثل جمع درهم على دراهم، وجمع غضنفر على غضافر، وجمع سفرجل على سفارج، وجمع سنبل على سنابل.
- فعاليل مثل جمع فردوس على فراديس ودينار على دنانير، وسكين على سكاكين...
- أفاعل مثل جمع أفضل على أفاضل وجمع أرنب على أرانب.
- أفاعيل مثل جمع أسلوب على أساليب وأنشودة على أناشيد.
- تفاعل مثل جمع تجربة على تجارب...
- تفاعيل مثل جمع تسبيح على تسابيح، وتقسيم على تقاسيم...
- مفاعل مثل جمع مسجد على مساجد، ومدرسة على مدارس...
- مفاعيل وهذه الصيغة التي جمع عليها لفظ (مسكين) فصارت (مساكين) وضابط الجمع على هذا الوزن أن يكون الاسم على خمسة أحرف وأوله ميم زائدة وقبل آخره حرف مدٍّ

مثل جمع مسكين على مساكين، ومصباح على مصابيح، وميثاق على مواثيق، ومولود على مواليد...[34]

الفرق الدلالي بين القراءتين:

يتمثل الفرق الدلالي بين القراءتين في أن قراءة نافع وابن عامر (مساكين) بصيغة الجمع دلت على أن الفدية هي إطعام عدد من المساكين، وترتَّب على ذلك تعدد الفدية بتعدد الأيام، إضافة إلى كون لفظ (مساكين) بصيغة الجمع مناسب لجمع الأيام المذكور في صدر الآية " أياما معدودات".

وأما قراءة عاصم ومن معه (مسكين) بالإفراد فقد دلت على أن الفدية إطعام مسكين واحد، ولا بد من حملها على الفدية كل يوم [35]، وقالوا: إن في البيان على حكم الواحد بيان على حكم جميع الشهر، وليس كذلك العكس.[36]

واتضح مما تقدم أن قراءة نافع ومن معه بجمع لفظ (مسكين) دالة على تعدد الفدية بتعدد الأيام بصريح اللفظ من غير تأويل ولا حمل. وأن قراءة عاصم ومن معه بإفراد (مسكين) تدل على المعنى نفسه ولكن بقليل من التأويل. والله أعلم.

***** **القراءة: الفرق بين فعْل وفعال**

قال الله – تعالى – " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين " [البقرة251]

قرأ نافع " ولولا دِفَاعُ الله الناس " (دِفَاع) مصدر على زنة فِعَال. وقرأ عاصم وباقي السبعة (دَفْع) مصدر على زنة (فعْل) بإسكان العين.[37] والفرق بين (دَفْع) و(دِفَاع) أن دفْع مصدر الفعل دفَع، وأن (دِفَاع) يحتمل أن يكون مصدر الفعل دفَع الثلاثي المجرد كقولنا كتب

كتابا، ولقي لقاء، ويحتمل أن يكون مصدر الفعل الثلاثي المزيد بالألف (دَافَعَ) إذ نقول دَافَعَ دِفَاعًا، وناضل نضالا، وكاتب كتابا.

والدَّفْع والدِفاع: تنحية الشيء وإزالته بقوة، ويتغير معنى (دفع) بتغير السياق الذي يَرِدُ فيه، تقول مثلا: دفع الطرق إلى مكان كذا إذا انتهى إليه. ودفع عنه الأذى: رده عنه، ودافع عنه: حامى عنه وانتصر له [38]. والدفع: صرف الشيء قبل وروده، بخلاف الرَّفع الذي هو صرْف الشيء بعد وروده، [39] وإذا عُدِّي الفعل (دفع) بإلى اقتضى معناه الإنالة كقوله تعالى:" ادفعوا إليهم أموالهم "[النساء6]، وإذا عدِّي بِعَنْ اقتضى معنى الحماية كقوله – تعالى – " إن الله يدافع عن الذين آمنوا..."[الحج38]

الفرق الدلالي بين القراءتين:

قراءة عاصم ومن معه (دفْع) تفيد أن الله – تعالى – لا مدافع له، وأنه المنفرد بالدفاع عن خلقه، ولذا قيل:إنما الدفاع من الناس والدفْع من الله.

وتفيد قراءة نافع (دفاع) المعنى نفسه استنادا إلى قولك مثلا: دافع الله عنك دفاعا، والعرب تقول: أحسن الله عنك الدفاع، وتفيد هذه القراءة أيضا جواز إضافة ألف المفاعلة لما حقه أن يصدر عن الذات الإلهية وحدها، وذلك على سبيل المشاكلة، والتنبيه على فساد قصد هم وبطلان سعيهم.[40]

ويجوز أن تجعل قراءة (دفاع) من (دافع) الدال على المشاركة، قال الرازي:"من جعل دفاع من دافع، فالمعنى أنه – سبحانه – إنما يكف الظلمة والعصاة عن ظلم المؤمنين على أيدي أنبيائه ورسله وأئمة دينه، وكأنه يقع بين أولئك المحقين، وأولئك المبطلين مدافعات ومكافحات فحسن الإخبار عنه بلفظ المدافعة، كما قال – سبحانه – " يحاربون الله ورسوله.."[المائدة33]، وقوله " شاقوا الله.."[الأنفال13] [41]

وجاء في تفسير الطبري عن معنى قراءة (دفاع) إن كثيرا من الخلق "يعادون أهل دين الله وولايته والمؤمنين به، فهو بمحاربتهم إيايهم، ومعاداتهم له، مدافعون بظنونهم، ومغالبون بجهلهم ن والله مدافعهم عن أوليائه وأهل طاعته والإيمان به "[42]

ومما تقدم يمكن القول إنه مع جواز مجيء صيغة (فاَعلَ) بمعنى فَعَل الثلاثي المجرد، ومع جواز مجي المصدر على زنة (فِعَال) من الثلاثي المجرد مما يترتب عليه اتحاد المعنى بين قراءة نافع ومن معه (دفاع)، وقراءة عاصم ومن معه (دفع) فإن القول بوجود اختلاف في الدلالة بين القراءتين من شأنه تأكيد التنوع الدلالي في القرآن الكريم وهذا لا يختلف فيه اثنان. والله أعلم.

هوامش البحث:

1- القراءات القرآنية المتواترة وأعلامها / عبد الحكيم أبو زيان / ط 1 1998م
2- انظر السبعة في القراءات لابن كثير 64/1.
3- النكت والعيون للماوردي 57/1
4- فتح القدير للشوكاني 22/1
5- المحرر الوجيز تفسير ابن عطية 70/1.
6- التحرير والتنوير للفاضل بن عاشور 175/1
7- انظر: الحجة في القراءات السبع 68/1، والدر المصون 55/1.
8- الصحاح للجوهري مادة خ د ع.
9- لسان العرب مادة خ د ع.
10- انظر:البحر المحيط لأبي حيان 180/1.
11- انظر التحرير والتنوير 175/1.

12- الكشاف للزمخشري 613/1.

13- المحرر الوجيز لابن عطية 92/1.

14- التطبيق الصرفي 27

15- تفسير الطبري 285/1.

16- الدر المصون 1للسمين الحلبي/127

17- البيتان من شعر حمزة بن بيض الحنفي من شعراء الدولة الأموية في مدح سليمان بن عبد الملك انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي 256/3

18- هذا صدر بيت وعجزه: أيسترجع الذؤبان أم لا يطولها، وهو مع بيت لاحق ذكرهما أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال 127/1 ولم ينسبها إلى قائل.

19- انظر: السبعة في القراءات 143/1.

20- لسان العرب لابن منظور 708/1، وكتاب الكليات 742/1، والمعجم الوسيط 782/2.

21- انظر: الحدود الأنيقة74/1، وانظر التعريفات باب الكاف.

22- انظر التطبيق الصرفي 28.

23- انظر: المحرر الوجيز لابن عطية 93/1.

24- تفسير الطبري 281/1.

25- انظر: الحجة في القراءات السبع 87/1 والمحرر الوجيز لابن عطية 207/1.

26- انظر التطبيق الصرفي 28.

27- انظر التفسير الكبير مفاتيح الغيب للرازي 336/2.

28- انظر: الحجة في القراءات السبع 115/1.

29- انظر: التطبيق الصرفي 27.

30- وانظر أنيس الفقهاء 111/1

31- انظر حجة القراءات 115/1.

32- المصدر السابق والصفحة نفسها

33- انظر: الحجة في القراءات السبع 93/1.

34- انظر في صيغ منتهى الجموع التطبيق الصرفي 80.

35- انظر القراءات المتواترة وأثرها في اللغة 265/1.

36- انظر حجة القراءات 124/1.

37- انظر: الحجة في القراءات السبع لابن خالويه 99/1، والدر المصون للسمين الحلبي 564/4.

38- المعجم الوسيط 299/1.

39- كتاب الكليات 450/1.

40- القراءات المتواترة وأثرها 145/1.

41- انظر تفسير الرازي 161/6.

42- انظر: تفسير الطبري 374/5.